مجلة *جامعة الملك عبدالعزيز:* الآداب والعلوم الانسانية، م٢٧ع٣ ص ص: ٨١- ١٠٧ (٢٠١٨م)
DOI:10.4197/Art.27-3.4

الدروس العقدية من صلح الحديبية

د. مريم بنت علي الحوشاني

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك، كلية الاداب

قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

ملخص. الحمد لله رب العالمين والصلاة على نبينا محمد وعلى آله وصحابته اجمعين أما بعد: فالمتأمل في السيرة النبوية وأحداثها يجد أنه أمام مدرسة تربوية وعقدية وسياسية عظيمة، ومن تلك الاحداث صلح الحديبية الذي كان منعطفاً مهماً في مسيرة الدعوة الإسلامية، ولأهمية هذا الحدث كان هذا البحث الموسوم بـ(الدروس العقدية من صلح الحديبية)وفق خطة تكونت من تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة وفهارس، واشتمل التمهيد على بيان مكان وزمن ومدة الصلح والذي حدث في يوم الاثنين من ذي القعدة سنة ست من الهجرة في الحديبية وسمي الصلح بها وكانت مدته عشر سنين. ثم تحدث المبحث الأول عن أسباب الصلح وكان منها أن النبي-ﷺ- قدم مكة يريد العمرة لا القتال، واصرار كفار قريش على منعهم دون مواجهة عسكرية لخوفهم من المسلمين وخاصة بعد بيعة الرضوان، واعتقاد كفار قريش أن الصلح سيعود عليهم بالخير والنفع. ثم كان المبحث الثاني في الحديث عن كتابة الصلح وبنوده والتي بلغت ستة بنود منها: رجوع المسلمين دون عمرة وقضاؤها العام المقبل، ارجاع كل قرشي يريد الإسلام إلى قريش، وقبول كل مسلم يأتي لقريش، وضع الحرب عشر سنين بينهم، وفي المبحث الثالث ارتكز الحديث عن الدروس العقدية المستوحاة من صلح الحديبية والتي منها: أن رؤيا الأنبياء وحي، واستحباب الفأل وإحسان الظن بالآخرين، وآية تكثير الماء دليل على نبوته-ﷺ-، ووجوب التسليم لله ورسوله-ﷺ-، ووجوب محاسبة النفس، وجواز القيام على رأس الكبير وهو جالس، وكفر من اعتقد تأثير الكواكب، وحكم التبرك بآثار النبي-ﷺ- الشريفة، وموافقة الكفار في بعض طلباتهم لا تعني موالاتهم ومحبتهم، ووجوب طاعة ولي الأمر، وتعظيم حرمات الله، وأن قضاء الله كله خير، وعدم تحكيم الأهواء، وحب الصحابة للنبي-ﷺ- .وفي المبحث الرابع إشارة مختصرة للفوائد والمكاسب التي حققها صلح الحديبية ومنها فتح مكة، والاعتراف الرسمي بالإسلام ودولته، والقاء مهابة المسلمين في قلوب الأعداء، وتفرغ الرسول-ﷺ- للدعوة لله، ومحاربة اليهود ومن يناوئهم، واستراحة المسلمين من الحرب. ثم ختم البحث بخاتمة اشتملت على نتائج وتوصيات استخلصت اثناء البحث وذيل البحث بنهايته بفهرس للمصادر والمراجع.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، صاحب الحوض والشفاعة، المبعوث بين يدي الساعة بالإنذار والتبيين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنَّ الله- ﷻ- أرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ للدعوة لعبادة الله وحده لا شريك له، وهدم صروح الشرك والوثنيات، وإخراج الناس من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، وغرس العقيدة الصحيحة في نفوسهم. في أعظم حدث من أحداث السيرة النبوية العطرة، وهو صلح الحديبية كان للنبي- ﷺ- فيه مواقف ودروس عقدية عظيمة، تستحق الوقفة والتأمل، واستلهام عبرها، وفقه دلالتها؛ لتكون عقيدة، ومنهجًا، وسلوكًا يسير وفقه المسلم في سيره لله- ﷻ-.

لقد كان لصلح الحديبية أهمية كبيرة في تغيير مجرى الأحداث بين المسلمين والمشركين، بين التوحيد والوثنية، فقد اشتمل على كثير من

الدروس العقدية التي يحسن استنباطها والوقوف عليها. في محاولة لبيان تلك الدروس في هذا الصلح وقع الاختيار على هذا البحث الموسوم بـ (الدروس العقدية في صلح الحديبية).

كان اختيار هذا الموضوع للأسباب التالية:

١- عدم الكتابة في هذا الموضوع- حسب اطلاعي-، وهو حصر الدروس العقدية في صلح الحديبية ببحث مستقل.

٢- أهمية هذا الحدث في تاريخ الإسلام؛ كونه نقطة تحول في مسار الدعوة الإسلامية، واشتماله على دروس متنوعة تربوية، وعقدية، وسياسية، ودعوية، وإعلامية.

٣- بُعد جيل الشباب اليوم عن دراسة السيرة النبوية دراسة واعية، واستخلاص العبر منها والدروس، والمنهج القويم الذي يجب أن يسيروا عليه مقتفين أثر نبيهم- ﷺ- سائرين على سنته.

أهمية البحث: تبرز أهمية الدراسة من خلال النقاط الآتية:

١-تستمد هذه الدراسة أهميتها من أهمية موضوعها، وهو موضوع متعلق بالعقيدة الصحيحة التي قال الله- ﷻ- عنها:{يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ*إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}[الشعراء:٨٩_٨٨]

وبالسيرة النبوية الشريفة.

٢-بعث الهمة في نفوس الدعاة وطلبة العلم والشباب قاطبة لدراسة السيرة النبوية، واستخلاص الدروس والعبر منها؛ لتكون منهجًا وسلوكًا يسير العبد عليه.

٣-بيان الدروس العقدية في صلح الحديبية بأسلوب سهل مبسط.

الدراسات السابقة:

سبقني جمع من العلماء وطلبة العلم الأجلاء في التأليف حول استنباط الدروس من صلح الحديبية باختلاف أنواعها: دعوية، وفقهية، وتربوية، وأصولية، ولم تكن الدروس العقدية أحد هذه المؤلفات، فلم تفرد ببحث مستقل شامل- حسب علمي- عدا بعض المقالات المختصرة على مواقع الإنترنت.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في عدم معرفة كثير من الناس بالدروس العقدية في هذا الصلح العظيم، التي قد

خفي بعضها على بعض الصحابة- ﵃- بادي الأمر، كالحكم العظيمة وراء هذا الصلح وثماره.

منهج البحث:

قامت الدراسة على المنهج الاستقرائي، القائم على استقراء النصوص الواردة في الصلح، ثم منهج تحليل المضمون واستخراج الدروس العقدية منها، وهو أحد أشكال المنهج الوصفي.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس، على التفصيل الآتي:

مقدمة.

تمهيد: في مكان الصلح، وزمانه، وأسبابه.

المبحث الأول: أسباب الصلح.

المبحث الثاني: كتابة الصلح، وبنوده.

المبحث الثالث: الدروس العقدية المستنبطة من صلح الحديبية.

المبحث الرابع: فوائد ومكاسب صلح الحديبية.

الخاتمة.

فهرس المصادر والمراجع.

تمهيد:

كان صلح الحديبيّة منعطفًا مهمًّا في مسيرة الدّعوة الإسلاميّة؛ حيث تمخضت عنه دروس عقدية ونتائج، وحصل بعده أحداث مهمة في تاريخ الإسلام، يحسن قبل البدء في الحديث عنها إلقاء الضوء على مكان الصلح، وزمانه، ومدته.

مكان الصلح، وزمانه:

اتفقت الروايات أن المكان الذي جرى فيه الصلح هو: الحُديبية وسُمِّي الصلح بها، وهي قرية متوسطة سُمِّيت ببئر هناك، وقيل: نسبة لشجرة حدباء صغرت فسمي بها المكان، وبعض الحديبية في الحل وبعضها في الحرم، وموقعها في زماننا اليوم يسمى (الشميسي).[١] تقع غرب مكة منحرفة لجهة الشمال على بعد (٢٢كيلو) على طريق جدة.[٢]

وأمَّا زمانه: فقد أجمع المسلمون أن الحديبية كانت سنة ست من الهجرة من ذي القعدة، يوم الإثنين وحكى النووي، وابن كثير، وابن حجر وغيرهم هذا الإجماع [٣]، ووردت روايات شاذة لم تثبت أنه في شوال، وأنه في السنة الخامسة [٤].

وأما مدَّته: فقد اختلف العلماء فيها، والمحفوظ عنهم وفق ما جاء في بعض الروايات الصحيحة أن مدته كانت عشر سنين كما رواه ابن إسحاق، وقيل: سنتين، وقيل: أربع سنوات، وعلَّق ابن حجر على هذه الأقوال بقوله: (هذا القدر الذي ذكره ابن إسحاق أنه مدة الصلح هو المعتمد، وبه جزم ابن سعد، وأخرجه الحاكم من حديث علي نفسه، ووقع في مغازي بن عائذ في حديث ابن عباس وغيره، أنه كان سنتين، وكذا وقع عند موسى بن عقبة، ويجمع بينهما بأن الذي قاله ابن إسحاق هي المدة التي وقِع

---

(١) سميت بذلك: نسبة إلى رجل يدعى الشميسي حفر بئرا هناك فغلب اسمه عليها، انظر نسب حرب (٥٣٠).

(٢) انظر معجم البلدان (٢٢٩/٢) الحموي، وشرح النووي على مسلم (٦٠/٢)، وفتح الباري (٣٣٤/٥)، ومرويات غزوة الحديبية (١٩) حافظ الحكمي.

(٣) المجموع (٧٢/٧) النووي، والبداية والنهاية (١٦٤/٤) ابن كثير، وتلخيص الحبير (٩٠/٤) ابن حجر.

(٤) انظر مرويات غزوة الحديبية (٢٨،٣٠-٣٣٢) حافظ الحكمي.

الصلح عليها، والذي ذكره بن عائذ وغيره هي المدة التي انتهى أمر الصلح فيها حتى وقع نقضه على يد قريش... وأمَّا ما وقع في كامل بن عدي، ومستدرك الحاكم، والأوسط للطبراني من حديث ابن عمر، أن مدة الصلح كانت أربع سنين فهو مع ضعف إسناده منكر مخالف للصحيح)[١].

المبحث الأول: أسباب صلح الحديبية:

لقد ظلت مشاعر المسلمين وقادة تتطلع إلى زيارة بيت الله الحرام، ودخول بلدهم الذي أخرجوا منه ظلمًا وعدوانًا، وما اليوم الذي خرج فيه النبي- ﷺ- على أصحابه ليخبرهم برؤياه التي رأى فيها دخوله وصحبه لمكة، وطوافه بالبيت الحرام، وحلق بعضهم وتقصير البعض، فاستبشر المسلمون بهذه الرؤيا لعلمهم أن رؤيا الأنبياء حق، وذهب بعض أهل العلم إلى أن تلك الرؤيا كانت سبب خروج النبي- ﷺ- وصحبه للحديبية، وممن ذهب لذلك الواقدي واليعقوبي، والزرقاني وغيرهم. [٢]

وذهب أهل التفسير إلى أن هذه الرؤيا هي التي ذكرها الله- ﷻ- بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [سورة الفتح: ٢٧]، فروى ابن جرير عن ابن زيد، في قوله: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾ إلى آخر الآية. قال: قال لهم النبي- ﷺ-: "إنّي قَدْ رأيْتُ أنَّكُمْ سَتَدْخُلُونَ المَسْجِدَ الحَرَام مُحَلِّقِينَ رُؤوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ، "فلما نزل بالحُديبية ولم يدخل ذلك العام طعن المنافقون في ذلك، فقالوا: أين رؤياه؟ فقال الله- ﷻ-: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾. [٣] وذهب البعض إلى أن الرؤيا كانت بعد الخروج إلى الحديبية، وحاولت طائفة ثالثة الجمع بين القولين، وجعل رؤيا الحديبية رؤيا ثانية، ولكن الصحيح الذي تشهد له الروايات أن الرؤيا كانت واحدة، قبل صلح الحديبية [٤].

ومن ذلك ما رواه البخاري من حديث المسور بن مخرمة ومروان، وفيه: (قال عُمرُ بن الْخطَّابِ- ﷺ- فأَتَيْتُ نبِيَّ اللهِ- ﷺ- فقلت: أَلَسْتَ نبِيَّ اللهِ حقًّا؟ قال: بلَى، قلت: أَلَسْنَا على الْحقِّ وعَدُوُّنَا على الْباطِلِ؟ قال: بلَى، قلت: فلِمَ نعْطِي الدّنِيَّةَ في دِينِنا إذن؟! قال: إني رسول اللهِ، ولَسْتُ أعْصِيهِ، وهو ناصِرِي، قلت: أو ليس كنْتَ تحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتي البَيْتَ فَنَطوفُ بهِ؟ قال: بلَى فَأَخْبَرْتكَ أَنَّا نَأْتيهِ العَامَ؟ قال: قلت: لا، قال: فإِنَّكَ آتيهِ وَمطَّوِّفٌ بهِ).[٥]

ولما أراد الرسول- ﷺ- الخروج استنفر العرب، ومن حوله من الأعراب ليخرجوا معه، وهو يخشى من قريش أن يصدوه عن البيت، أو أن يعرضوا له بحرب، فأبطأ عليه كثير من الأعراب فخرج رسول

[١] فتح الباري (٥ /٣٤٣)

[١] انظر المغازي (٥٧٢/٢) الواقدي، وتاريخ اليعقوبي (٥٤/٢) اليعقوبي، شرح الزرقاني على المواهب اللدينة (١٧٠/٣).

[٣] جامع البيان في تأويل أي القران (١٠٧/٢٦).

[٤] انظر تفسير القران العظيم (٢٠١/٤ ابن كثير.

[٥] صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ج (٢ / ٩٧٨) ح (٢٥٨١).

الله- ﷺ - ومن معه من المهاجرين والأنصار، ومن لحق به من العرب في يوم الإثنين يريد العمرة، ومعه ألف وأربع مئة من الصحابة، وليس معهم إلا سلاح السفر، وساق معه الهدي؛ ليأمن الناس من حربه، وليعلموا أنه إنما خرج زائرًا لبيت الله، فأحرموا بالعمرة من ذي الحليفة، فلما اقتربوا من مكة بلغهم وهم في غدير الأشطاط.[١] أن قريشًا جمعت الجموع والأحابيش[٢] لمقاتلتهم، وصدهم عن البيت[٣]، وأرسلت قريش خالداً بن الوليد عينًا على المسلمين، وعلم النبي- ﷺ- بذلك، فقال محذراً لأصحابه: (إِنَّ خَالِد بنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ[٤] فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً، فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ، فَوَاللهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الْجَيْشِ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ).[٥]

(وسَارَ النبي- ﷺ- حتى إذا كان بِالثَّنِيَّةِ التي يُهْبطُ عليهم منها برَكَتْ بهِ راحِلَتُهُ فقال الناس: حلْ حلْ، فأَلَحَّتْ فقَالُوا: خلأَتِ الْقصْوَاءُ، خلأَتِ الْقصْوَاءُ، فقال النبي- ﷺ-: ما خلأَتِ الْقصْوَاءُ، وما ذاكَ لها بِخلُقٍ، ولَكِنْ حبَسَهَا حابِسُ الْفيلِ، ثمَّ قال: والَّذِي نفْسِي بيده، لا يسألونني خُطَّةً يُعظِّمُونَ فيها حُرُماتِ اللهِ إلا أعْطَيْتُهُمْ إِيّاهَا، ثمَّ زجَرَهَا فوَثَبَتْ، قال: فعَدَلَ عنْهُمْ حتى نزَلَ بِأقْصَى الْحُديْبِيَةِ على ثمَدٍ قلِيلِ الْماءِ يتَبَرَّضُهُ الناس تبَرُّضًا فلم يُلبِّثْهُ الناس حتى نزَحُوهُ، وشُكِيَ إلى رسول اللهِ- ﷺ- الْعطَشُ، فانْتَزَعَ سهْمًا من كِنانَتِهِ، ثمَّ أمَرَهُمْ أنْ يجْعَلُوهُ فيه، فوَاللَّهِ ما زالَ يجِيشُ لهم بالرِّيِّ حتى صدَرُوا عنه).[٦] ولما خافت قريش على نفسها، طفقت ترسل الرسل للنبي- ﷺ-، وكان أول رسول جاء إليه بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة، وَكَانوا عَيبَةَ نصْحِ[٧] رسول اللهِ- ﷺ- من أَهلِ تهَامَةَ فقال: إني تَرَكتُ كَعبَ بن لؤَيّ وَعَامرَ بن لؤَيّ[٨] نَزَلوا أَعدَادَ[٩] ميَاهِ الْحدَيْبِيَةِ، ومعهم العوذ المطافيل[١٠]، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال رسول الله- ﷺ-: (إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الْحَرْبُ، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاؤُوا مَادَدْتُهُمْ [١١] مُدَّةً، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَر؛ فَإِنْ شَاؤُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا[١٢]، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي

---

(١) غدير الاشطاط: مكان قريب من عسفان والاشطاط جمع شط، وهو جانب الوادي. انظر فتح الباري (٣٣٣/٥) ابن حجر.

(٢) الأحابيش: هم بنو الهون بن خزيمة بن مدركة، وبنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة وبنو المصطلق من خزاعة، كانوا تحالفوا مع قريش تحت جبل يقال له الحبشي أسفل مكة، وقيل: سموا بذلك لتحبشهم أي تجمعهم، والتحبيش التجمع. انظر فتح الباري (٣٣٤/٥) ابن حجر.

(٣) انظر السيرة النبوية (٣٠٨/٢) ابن هشام.

(٤) الغميم: هو الكلأ الأخضر تحت اليابس، وهو مكان قريب من مكان بين رابغ والجحفة. انظر معجم البلدان (٢١٤/٤) ياقوت الحموي.

(٥) سبق تخريجه ا.

(٦) سبق تخريجه .

(٧) العيبة ما يوضع فيه الثياب لحفظها، أي أنهم موضع النصح لرسول الله-ﷺ- والأمانة على سره. انظر فتح الباري (٣٣٧/٥) ابن حجر

(٨) ذكرهما دون سواهما لكون قريش الذين في مكة ترجع أنسابهم جميعهم إليهما. انظر المرجع السابق (٣٣٨/٥).

(٩) الأعداد: جمع عد، وهو الماء الذي لا انقطاع له. انظر فتح الباري (٣٣٨/٥) ابن حجر.

(١٠) العوذ جمع عائذ: وهي الناقة ذات اللين، والمطافيل الأمهات التي معها أطفالها، والمراد أنهم خرجوا معهم بالإبل ذوات الألبان، ليتزودوا بألبانها، ولايرجعوا حتى يمنعوه، أو كنى بذلك عن النساء معهن الأطفال، والمراد أنهم خرجوا معهم نسائهم وأولادهم لإرادة طول المقام، وليكون أدعى إلى عدم الفرار. انظر فتح الباري (٣٣٨/٥) ابن حجر.

(١١) المعنى جعلت بيني وبينهم مدة نترك الحرب بينا وبينهم. انظر المرجع السابق (٣٣٨/٥) ابن حجر.

(١٢) من الجم وهو الراحة والمعنى استراحوا. انظر المرجع السابق (٣٣٨/٥).

هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ، فَقَالَ بُدَيْل :سَأُبْلِغُهُمْ مَا تَقُولُ[١])، فعرض النبي- ﷺ- على قريش السلم ابتداء، ولم يضعف موقفه أو يظهر الخوف من قريش بل أعلمهم أنه مستعد لقتالهم إذا تطلب الأمر ذلك.

اختلف رأي قريش عندما عاد بديل إليهم فأعلمهم ما دار بينه وبين النبي- ﷺ-: (إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ، وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا، فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ، وَقَالَ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ- ﷺ-، فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَوَلَسْتُ بِالْوَلَدِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ تَتَّهِمُونِنِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظَ، فَلَمَّا بَلَّحُوا [٢] عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِهِ، قَالُوا: ائْتِهِ، فَأَتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ- ﷺ-، فَقَالَ النَّبِيُّ- ﷺ- نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيْ مُحَمَّدُ، أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ؟ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟! وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى، فَإِنِّي وَاللهِ لَأَرَى وُجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَشْوَابًا[٣] مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْر :امْصُصْ بَظْرِ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟! فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ، قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ- ﷺ-، فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ- ﷺ-، وَمَعَهُ السَّيْفُ، وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ- ﷺ- ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ لَهُ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللهِ- ﷺ-، فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا :الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، فَقَالَ: أَيْ غُدَرُ، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ؟ وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ- ﷺ-: أَمَّا الْإِسْلَامَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ، ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ- ﷺ- بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فوَاللَّهِ ما تنَخَّمَ رسول اللهِ- ﷺ- نُخامَةً إلا وقَعَتْ في كفِّ رجُلٍ منهم فدَلَكَ بها وجْهَهُ وجِلْدَهُ، وإذا أَمَرَهُمْ ابْتدَرُوا أمْرَهُ، وإذا توَضَّأَ كادُوا يقْتَتِلُونَ على وَضُوئِهِ، وإذا تكَلَّمَ خفَضُوا أصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وما يحِدُّونَ إليه النّظَرَ تعْظِيمًا له. فرَجَعَ عُرْوةُ إلى أصْحَابِهِ، فقال: أيْ قوْمِ، والله لقد وفَدْتُ على الْملُوكِ، ووَفَدْتُ على قيْصَرَ وكِسْرَى والنَّجَاشِيِّ، والله ما رأيت ملِكًا قطُّ يُعظِّمُهُ أصْحَابُهُ ما يُعظِّمُ أصْحَابُ مُحمَّدٍ- ﷺ- مُحمَّدًا، والله إن تنَخَّمَ نُخامَةً إلا وقَعَتْ في كفِّ رجُلٍ منهم، فدَلَكَ بها وجْهَهُ وجِلْدَهُ، وإذا أمَرَهُمْ ابْتدَرُوا أمْرَهُ، وإذا توَضَّأَ كادُوا يقْتَتِلُونَ على وَضُوئِهِ، وإذا تكَلَّمَ خفَضُوا أصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وما يحِدُّونَ إليه النّظَرَ تعْظِيمًا له، وإِنَّهُ قد عرَضَ علَيْكُمْ خُطّةَ رشْدٍ فاقْبَلُوهَا).

---

[١] سبق تخريجه.
[٢] أي امتنعوا والتبلح التمنع من الإجابة وبلح الغريم إذا امتنع من أداء ما عليه. انظر فتح الباري (٥ / ٣٣٩) ابن حجر.
[٣] أي أخلاطاً، وفي رواية أوباشاً. انظر المرجع السابق (٣٤٠/٥).

هكذا حاور عروة رسول الله- ﷺ- محاولًا بادي الأمر أن يضعف ويزعزع ثقة الصحابة بأنفسهم، وثقة النبي- ﷺ- فيهم، فجاء الرد الحاسم من أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- ليؤكد له أنهم لن يخذلوا نبي الله، ثم يجول عروة ببصره ممعنًا النَّظر في كيفية تعامل الصحابة مع نبيهم وقائدهم ليرسم في ذهنه مدى اللحمة بين القائد وجيشه، فيدب الرعب بقلبه ممَّا يرى من دفاعهم، وتعظيمهم، وتوقيرهم، وتبركهم بنبيهم، ليعلن تلك الحقيقة لقومه، والتي تحمل رسالة لهم أنَّ صحب محمد- ﷺ- لن يخذلوه، وبالتالي استبعاد هذا الاحتمال من تخطيطهم، وصرف النظر عن المواجهة العسكرية معه، والانتقال إلى خطة أخرى تحفظ ماء وجوههم عند القبائل، وتبعدهم عن ويلات الحرب، ولما كان لعروة حظوة ومكانة عند قريش فقد رغّبهم مرة ثانية بقبول عرض رسول الله- ﷺ- عليهم، ولكنَّ قريشًا لم تحسم أمرها بعد، فأرسلت رسولًا ثالثًا.

(فقال رجُلٌ من بنِي كِنانَةَ- وهو الحليس بن علقمة وكان سيد الأحابيش-: دعُونِي آتهِ، فقَالُوا: ائْتهِ. فلما أَشرَفَ على النبي- ﷺ- وَأَصْحَابِه، قال رسول اللهِ- ﷺ-: هذا فلَانٌ، وهو من قَومٍ يعَظِّمُونَ الْبدْنَ فَابْعَثوهَا له، فَبعِثَتْ له، وَاستَقْبَلَهُ الناس يلَبُّونَ، فلما رأَى ذلك قال: سبْحَانَ اللهِ! ما يَنْبَغي لِهَؤلَاءِ أنْ يُصَدُّوا عن البَيْتِ، فلما رجَعَ إلى أَصْحَابهِ قال: رأيت الْبدْنَ قد قلِّدَتْ وَأشْعِرَتْ، فما أرَى أنْ يصَدُّوا عن البَيْتِ). [1]

لقد حلل النبي- ﷺ- شخصية الحليس وفهمها، وأنه رجل من قوم يتألهون، فتعامل معه وفق سمات شخصيته، ليقنع قريشًا بعد ذلك بتحويل موقفهم لصالح النبي- ﷺ-، فأمر برفع الأصوات بالتلبية وإظهار الهدي ليراه الحليس فيعلم أن النبي- ﷺ- وصحبه إنما أتوا لزيارة بيت الله، وأداء العمرة.

لما رأى الحليس ذلك، ورأى الهدي يسيل عليه بقلائده من عرض الوادي في مكان مجدب قد أكل الهدي أوباره من طول الحبس عن محله، ورأى الصحابة شعثًا من طول البقاء على الإحرام، استنكر صنيع قريش؛ لأن صد الزوار عن البيت الحرام جريمة في عرف العرب، فانصرف سيد بني كنانة عائدًا من حيث أتى دون أن يتكلم مع النبي- ﷺ- وتبين له تدليس قريش على العرب بأن النبي- ﷺ- يريد قتالهم في بيت الله الحرام، وقال الحليس كما جاء في رواية إسحاق عند ابن هشام: (يا معشر قريش، والله ماعلى هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أيبعد عن بيت الله من جاء معظمًا له؟! والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد). [2]

لقد رأى النبي-ﷺ- تعزيزًا لفكرة السلم مع قريش، إرسال رسول منه لهم مؤكدًا احترامه لبيت الله

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه (٢ / ٩٧٧)، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ح (٢٥٨١).
[2] السيرة النبوية (٢٨٠/٤) ابن هشام.

الحرام، وأنه لم يخرج لقتالهم فاختار - كما جاء عند ابن هشام- خراش بن أمية، فبعثه إلى قريش بمكة، وحمله على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا به جمل رسول الله- ﷺ-، وأرادوا قتله، فمنعته الأحابيش، فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله- ﷺ-، وكان الذي عقر ناقة رسول الله عكرمة بن أبي جهل، وقد عاد مبعوث رسول الله دون أن يكلم قريشًا ويبلغهم رسالته. (١)

وفي هذه الأثناء يتسلل شرذمة من كفار قريش ليلاً إلى معسكر المسلمين للاعتداء عليهم، ولكن حراس جيش المسلمين يمسكون بهم، ويأسرونهم حتى بلغ عددهم سبعين رجلًا، جيء بهم إلى رسول الله- ﷺ- مشدودي الوثاق، ووقفوا أمام النبي- ﷺ- بذل وصغار، فما كان منه- ﷺ- إلَّا أن قال: (دَعُوهُمْ، يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ)، فبحكمته حفظ دماء أصحابه، وأوصل رسالة لقريش أنه يريد السلم رغم استفزازهم وتعنتهم.(٢) ولحرص النبي- ﷺ- على السلم مع قريش قرر أن يرسل رسولًا آخر فذكر الواقدي: (أن النبي- ﷺ- بعد رجوع خراش بن أمية، دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى قريش فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشًا على نفسي، وقد عرفت قريش عداوتي لها، وليس بها من بني عدي من يمنعني، وإن أحببت يا رسول الله دخلت عليهم. فلم يقل رسول الله- ﷺ- شيئًا، قال عمر: ولكن أدلك يا رسول الله على رجل أعز بمكة مني، وأكثر عشيرة وأمنع؟ عثمان بن عفان؛ فدعا رسول الله-ﷺ- عثمان- رضي الله عنه- فقال: اذهب إلى قريش، فخبرهم إنا لم نأت لقتال أحد، وإنما جئنا زوارًا لهذا البيت، معظمين لحرمته، معنا الهدي نذبحه، وننصرف) (٣)، وأوصاه النبي- ﷺ- أن يتصل برجال ونساء مؤمنين من المستضعفين بمكة ويقرئهم السلام، ويبشرهم بالفتح القريب والنصر المبين، وأن الله سيظهر دينه بمكة قريبًا.

فخرج عثمان حتى أتى بلدح (٤)، فوجد قريشًا هنالك فقالوا: أين تريد؟ قال: بعثني رسول الله إليكم، يدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، تدخلون في الدين كافةً، فإن الله مظهر دينه، ومعز نبيه، وأخرى: تكفون، ويلي هذا منه غيركم، فإن ظفروا بمحمدٍ فذلك ما أردتم، وإن ظفر محمدٌ كنتم بالخيار: أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس، أو تقاتلوا وأنتم وافرون حامون، إن الحرب قد نهكتكم وأذهبت بالأماثل منكم، وأخرى إن رسول الله يخبركم أنه لم يأت لقتال أحد، إنما جاء معتمرًا، معه الهدي عليه القلائد، ينحره، وينصرف. فجعل عثمان- رضي الله عنه- يكلمهم فيأتيهم بما لا يريدون، ويقولون: قد سمعنا ما تقول، ولا كان هذا أبدًا، ولا دخلها علينا عنوةً، فارجع إلى صاحبك، فأخبره أنه لا يصل إلينا، فقام إليه أبان بن سعد بن العاص، فرحب به وأجازه، وقال: لا تقصر عن حاجتك، ثم نزل عن فرسٍ كان عليه، فحمل

(١) انظر المرجع السابق (٢٨١/٤) .
(٢) انظر المرجع السابق (٢٨٢/٤).
(٣) المغازي (٨٩/٢) للواقدي.
(٤) بلدح: هو مكان في طريق التنعيم بفتح الموحدة والمهملة بينهما لام ساكنة واخره مهملة ويقال هو واد
انظر فتح الباري (٧ / ١٤٣) ابن حجر.

عثمان- ﷺ- على السرج وردفه وراءه، فدخل عثمان مكة، فأتى أشرافهم رجلًا رجلًا: أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية وغيرهم، منهم من لقي ببلدح، ومنهم من لقي بمكة، فجعلوا يردون عليه: إن محمدًا لا يدخلها علينا أبدًا، قال عثمان- ﷺ-: ثم كنت أدخل على قوم مؤمنين من رجالٍ ونساءٍ مستضعفين فأقول: إن رسول الله يبشركم بالفتح، ويقول:"أظلكم حتى لا يستخفى بمكة الإيمان". فقد كنت أرى الرجل منهم والمرأة تنتحب، حتى أظن أنه يموت فرحًا بما خبرته، فيسأل عن رسول الله- ﷺ - فيخفي المسألة، ويشتد ذلك على أنفسهم، ويقولون: اقرأ على رسول الله منَّا السلام، إن الذي أنزله بالحديبية لقادرٌ على أن يدخله بطن مكة. وقال المسلمون: يا رسول الله، وصل عثمان إلى البيت فطاف، فقال رسول الله- ﷺ-: ما أظن عثمان يطوف بالبيت، ونحن محصورون. قالوا: يا رسول الله، وما يمنعه وقد وصل إلى البيت؟ فقال النبي- ﷺ-: ظني به ألا يطوف حتى نطوف [١].

بينما كان المسلمون يرقبون ما تسفر عنه محادثات عثمان بن عفان مع قريش، تنامى إلى مسامعهم شائعة هزت كيانهم، وجعلت النبي- ﷺ- يتخذ موقفًا آخر، وينتقل من الحل السلمي إلى التدخل العسكري، حيث أشيع أن قريشًا أسرت عثمان وقتلته، فقرر النبي- ﷺ- السير لمكة بجيشه، ومواجهة قريش، فاستنفر صحابته الكرام، ودعاهم لمبايعته على الموت في سبيل الله، ولبَّى الصحابة دعوة نبيهم، وكانوا ألفًا وأربع مئة صحابي، فبايعوه تحت الشجرة في الحديبية، وبايع النبي- ﷺ- عن عثمان، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، وقال: (اللهمَّ إن عثمان انطلق في حاجة الله وحاجة رسوله وأني أبايع له)[٢]، وقد امتدح الله- ﷻ- المؤمنين المبايعين وأثنى عليهم بقوله تعالى:﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨] وسميت تلك البيعة بيعة الرضوان، وأثنى عليهم رسوله- ﷺ- بقوله: (أنتم خير أهل الأرض).[٣]

لما سمعت قريش باستعداد المؤمنين للقتال، ووصلها خبر المبايعة على الموت، دبَّ الذعر في قلوبهم وهم يعرفون المسلمين جيدًا في حروبهم السابقة معهم، ويعلمون أن الحرب إذا اشتعلت فستهلكهم لامحالة، فسارعوا بإرسال رسولهم ليتفاوض مع رسول الله- ﷺ- على ما كان يطلبه النبي سابقًا وهو الصلح.

لقد خضعت قريش لمطلب رسول الله- ﷺ- الذي لم يتنازل أو يتخاذل، فأرسلت مكرز بن حفص الذي قال: (دَعونِي آتهِ فَقَالوا: ائْتهِ، فلما أَشرَفَ عليهم قال النبي- ﷺ-: هذا مكْرَزٌ، وهو رَجلٌ فَاجرٌ، فجَعَلَ يكَلِّمُ النبي- ﷺ- فَبَينَمَا هو يكَلِّمُهُ إذْ جاء

[١] المغازي (٨٩/٢،٩٠) الواقدي.

[٢] أخرجه ابوداود في سننه (٧٤/٢) في باب فيمن جاء بعد الغنيمة لاسهم له ح (٢٧٢٦) وصححع الألباني في صحيحيح أبو داود رقم (٢٧٢٦).

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية (١٥٢٦/٤) ح (٣٩٢٣).

سهَيْلُ بن عَمرٍو، فقال النبي- ﷺ-: لقد سَهلَ لَكمْ من أَمْرِكمْ) [١]، وتم بعد ذلك كتابة الصلح بين قريش والنبي- ﷺ- كما سيأتي بيانه.

وبعد هذا السرد التاريخي لأحداث ما قبل صلح الحديبة يمكن إجمال أسباب الصلح بالآتي:

- أنّ النّبي- ﷺ- والمسلمين لم يريدوا القتال في تلك السّنة، وإنّما أرادوا زيارة بيت الله وأداء مناسك العمرة، وساقوا معهم الهدي؛ لتعلم قريش والعرب تلك الحقيقة.
- إصرار كفّار قريش على عدم دخول المسلمين عليهم في تلك السّنة عنوة من دون إذن؛ فتذهب هيبتهم عند العرب، وعدم رغبتهم كذلك في لقاء عسكري معهم، وقتالهم لتجاربهم السابقة مع المؤمنين وخسائرهم.
- خوف كفار قريش من التحرك العسكري من النبي- ﷺ- وصحبه؛ بعدما سمعت ببيعة الرضوان إثر شائعة مقتل عثمان بن عفان، ومبايعتهم لنبيهم على الموت والصبر، فبادرت بإرسال رسولها ليصالح المسلمين.
- اعتقاد كفّار قريش أنّ الصّلح مع المسلمين سيعود عليهم بالخير والنّفع الكثير، وستتحدث العرب عن قوتهم وسطوتهم، وستقلّ بالمقابل هيبة المسلمين في نفوس النّاس، وقد تحدث فتنة وانقسام في صفوفهم، عندما يرجعون للمدينة دون أداء العمرة.

[١] سبق تخريجه.

المبحث الثاني: كتابة الصلح وبنوده:

اضطرت قريش إلى كتابة الصلح مع المسلمين لما جاءها خبر استعداد النبي- ﷺ- للتحرك العسكري، فبعثت ثلاثة من معسكرها، وهم: سهيل بن عمرو بن عامر، ومكرز بن حفص، وحويطب بن عبد العزى[٢]، وتولى التفاوض مع رسول الله- ﷺ- سهيل بن عمرو- أحد زعماء قريش- المعروف بعقله الراجح وبالحنكة والدهاء، فلما جلس للتفاوض بدأ كلامه بقوله: (من قاتلك لم يكن من رأي ذوي رأينا ولا ذوي الأحلام منا، بل كنا له كارهين حين بلغنا ولم نعلم به، وكان من سفهائنا، فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أول مرة، والذين أسرت آخر مرة، فقال رسول الله- ﷺ-: إني غير مرسلهم حتى ترسل أصحابي، قال سهيل: أنصفتنا)[٣] فبعث إلى قريشٍ الشتيم بن عبد مناف، وطلب منهم إرسال أصحاب الرسول- ﷺ- فبعثت قريش بمن عندها، وكان عددهم أحد عشر رجلاً، ثم أطلق النبي- ﷺ- أسرى المشركين[٤]. بعد ذلك شرع سهيل بن عمرو بالتفاوض مع رسول الله- ﷺ- حيث جاء في رواية البخاري كيفية كتابة الصلح فقال: (قال مَعمَرٌ: قال الزّهْرِيُّ في حَديثِهِ: فجَاءَ سهَيْلُ بن عَمرٍو، فقال هاتِ اكتُبْ بيْنَنَا وبَيْنَكُمْ كتَابًا، فدَعَا النبي- ﷺ- الْكَاتِبَ، فقال النبي-ﷺ-: بسْمِ اللهِ الرحمن الرَّحيمِ قال سُهيْلٌ:

[٢] حويطب بْن عَبْد العزى من بَنِي عامر بْن لؤي الْقُرَشِيّ الحجازي - فِي قصة الكعبة، وسمع عَبْد اللَّه بْن السعدي، سَمِعَ منه السائب بْن يزيد، روى عنهُ أَبُو نجيح، يقال هو من مسلمة الفتح سنه سن حكيم بْن حزام عشرين ومائة سنة.

[٣] المغازي (٢ / ٩٢) الواقدي.

[٤] انظر المرجع السابق (٩٣/٢).

أمَّا الرّحْمَنُ، فوَاللَّهِ ما أَدْري ما هو؟ وَلَكنْ اكتُبْ باسْمِكَ اللهم كما كُنتَ تكْتُبُ، فقال الْمُسْلمُونَ: والله لا نكْتُبُهَا إلا بسْمِ اللهِ الرحمن الرَّحيمِ، فقال النبي- -ﷺ: اكتُبْ باسْمِكَ اللهم، ثمَّ قال: هذا ما قاضَى عليه مُحمَّدٌ رسول اللهِ، فقال سُهَيلٌ: والله لو كنا نَعلَمُ أنَّكَ رسول اللهِ ما صَدَدنَاكَ عن البَيْتِ، ولا قَاتَلنَاكَ، ولَكِنْ اكتُبْ محمد بن عبد اللهِ، فقال النبي- ﷺ-: والله إني لرَسُولُ اللهِ- وإِنْ كَذَّبتُمُونِي- اكتُبْ: محمد بن عبد اللهِ، قال الزُّهرِيُّ: وذَلِكَ لِقَولِهِ لا يسألونني خُطّةً يُعظِّمُونَ فيها حُرُماتِ اللهِ إلا أَعطَيْتُهُمْ إيّاهَا، فقال له النبي- ﷺ-: على أنْ تُخلُّوا بَينَنَا وَبَينَ البَيْتِ فنَطُوفَ بهِ، فقال سُهَيلٌ: والله لا تتَحَدَّثُ العَرَبُ أنَّا أُخِذنَا ضُغطَةً، ولَكِنْ ذلك من العَامِ المُقْبِلِ، فكَتَبَ، فقال سُهَيلٌ: وعَلَى أنَّهُ لا يَأتِيكَ مِنّا رجُلٌ وإِنْ كان على دينِكَ إلا رَدَدتَهُ إلَينَا، قال المُسْلِمُونَ: سُبحَانَ اللهِ! كَيفَ يُردُّ إلى المُشْرِكِينَ وقد جاء مُسلِمًا؟! فَبَينَمَا همْ كذَلِكَ، إذْ دخل أبو جَندَلِ بن سُهَيلِ بن عَمرٍو يَرسُفُ في قيُودِهِ، وقد خرَجَ من أَسفَلِ مكَّةَ حتى رمَى بِنَفسِهِ بين أَظهُرِ الْمسْلِمِينَ، فقال سُهيْلٌ: هذا يا محمد أوَّلُ ما أُقاضِيكَ عليه أنْ ترُدَّهُ إلي، فقال النبي- ﷺ-: إنّا لم نقْضِ الْكِتابَ بعْدُ، قال: فوَاللَّهِ إذًا لم أُصالِحْكَ على شيْءٍ أبَدًا؛ قال النبي-ﷺ-: فأَجِزْهُ لي، قال: ما أنا بِمجِيزِهِ لك، قال: بلَى، فافْعَلْ، قال: ما أنا بِفاعِلٍ، قال: مِكْرزٌ بلْ قد أجَزْنَاهُ لك، قال أبو جنْدَلٍ: أيْ معْشَرَ الْمسْلِمِينَ، أُردُّ إلى الْمشْرِكِينَ وقد جئْتُ مسْلِمًا! ألا ترَوْنَ ما قد لقِيتُ؟ وكان قد عذِّبَ عذَابًا شدِيدًا في اللهِ، قال: فقال عُمرُ بن الْخطَّابِ: فأَتَيْتُ نبِيَّ اللهِ- ﷺ- فقلت: ألَسْتَ نبِيَّ اللهِ حقًّا؟! قال: بلَى، قلت: ألَسْنَا على الْحقِّ؟، وعَدُوُّنَا على الْباطِلِ؟! قال: بلَى، قلت: فلِمَ نعْطِي الدّنِيَّةَ في دِينِنا إذًا؟! قال: إني رسول اللهِ، ولَسْتُ أعْصِيهِ، وهو ناصِرِي، قلت: أو ليس كنْتَ تحَدّثُنا أنَّا سَنَأْتي البَيْتَ فنَطوفُ بهِ؟! قال: بلَى، فَأَخْبَرْتكَ أنَّا نَأْتيهِ العَامَ؟ قال: قلت: لا، قال: فَإنَّكَ آتيهِ، وَمطَّوِّفٌ به، قال: فَأَتَيتُ أبَا بَكرٍ، فقلت: يا أبَا بَكرٍ أَلَيسَ هذا نَبيَّ اللهِ حقًّا؟! قال: بلَى، قلت: أَلَسنَا على الحَقّ، وَعَدوُّنَا على الْبَاطِلِ؟ قال: بلَى، قلت: فَلمَ نعْطِي الدَّنيَّةَ في دينِنَا إذًا؟! قال: أَيّهَا الرَّجلُ، إنه لَرَسولُ اللهِ- ﷺ- وَلَيسَ يَعْصي ربَّهُ، وهو نَاصِرهُ، فَاسْتَمْسكْ بغَرْزِهِ؛ فوَاللَّهِ إنه على الحَقّ، قلت: أَلَيسَ كان يحَدّثُنَا أنَّا سَنَأْتي البَيْتَ وَنَطوفُ بهِ؟ قال:بلَى، أَفَأَخبَرَكَ أنَّكَ تَأْتيهِ العَامَ؟ قلت: لا، قال: فَإنَّكَ آتيهِ، وَمطَّوِّفٌ بهِ. قال الزّهْرِيُّ: قال عمَرُ: فَعَملْتُ لذَلِكَ أَعمَالًا، قال: فلما فرَغَ من قَضيَّةِ الْكتَابِ، قال رسول اللهِ-ﷺ -لأَصْحَابِهِ: قُومُوا فَانْحَروا، ثمَّ احْلِقوا، قال: فوَاللَّهِ ما قام منهم رَجلٌ حتى قال ذلك ثلَاثَ مرَّاتٍ، فلما لم يقُمْ منهم أَحَدٌ، دخل على أمّ سلَمَةَ فذكر لها مالَقيَ من الناس، فقالت أمُّ سلَمَةَ: يا نَبيَّ اللهِ أَتُحبُّ ذلك؟ اخرُجْ لاتُكَلّمْ أَحَدًا منهم كَلمَةً حتى تنْحَرَ بُدْنكَ، وتَدْعُوَ حَالقَكَ فَيَحْلقَكَ، فخَرَجَ، فلم يُكَلّمْ أَحَدًا منهم حتى فعَلَ ذلك، نحَرَ بُدْنهُ، ودَعَا حَالقهُ فحَلَقَهُ، فلما رأَوْا ذلك قامُوا فنَحَرُوا، وجَعَلَ بعْضُهُمْ يَحْلقُ بعْضًا، حتى كادَ

بعْضُهُمْ يقْتُلُ بَعضًا غمًّا) [(١)]. فصَّلت رواية البخاري ما دار بين سهيل والنبي- ﷺ- من كتابة الصلح، بما تحمل كثيرًا من الدروس الفقهية، والدعوية، والعقدية، وتبين أن النبي- ﷺ- في تنازله لم يقع بمفسدة تضر الإسلام والمسلمين، أو فيها إضعاف له، أو خذلان أمام المشركين، إنما كان يهدف من وراء ذلك لأمر بعيد، لا يعقله إلا من هو مؤيد بالوحي من ربه.

الذي يعنينا من دروس الحديبية، هو الجانب العقدي كما سيأتي بيانه، لكن قبل ذلك نعرض لبنود الصلح إجمالًا، حيث جاءت عدة روايات مبينة بنود الصلح تختلف فيما بينها زيادة ونقصًا، وإجمالًا وتفصيلًا، ومن مجموع تلك الروايات يمكن حصر جميع بنود الصلح على النحو التالي:

الأول: أن يرجع المسلمون إلى المدينة دون أن يؤدوا مناسك العمرة، ويقضوا عمرتهم في العام المُقبل، وأن يقيم المسلمون بمكّة ثلاثة أيام فقط إذا دخلوها لأجل العمرة في العام القادم، ولا يُدخلون معهم الأسلحة، إلّاسلاح المسافر الذي يضمن لهم الأمن على حياتهم من أهوال الطريق.

الثاني: من يأتي من قريش إلى النبي-ﷺ- يريد الدخول في الإسلام من غير إذن وليّه، يردّه المسلمون إليهم، ومن جاء من المسلمين إلى قريش داخلًا في حمايتهم، قبِلوه وأدخلوه في حلفِهم، ولا يُردّ إلى المسلمين.

الثالث: أن تُوضَع الحرب بين قريش والمسلمين مدة مقدارها عشر سنين، فيعمُّ الأمان خلال هذه المدّة.

الرابع: من أراد من قبائل العرب الدخول في حِلف المسلمين فليدخل، ومن أراد منهم الدخول في حِلف قريش فليدخل.

الخامس: أن بينهم عيبة مكفوفة [(٢)].

السادس: أنه لا إسلال ولا إغلال [(٣)].[(٤)]

المبحث الثالث: الدروس العقدية المستنبطة من صلح الحديبية

١-أن رؤيا الأنبياء وحي من الله- ﷻ-:

تقدم أن السبب المباشر لخروج النبي- ﷺ- إلى الحديبية كان لرؤيا رآها، حيث رأى أنه وأصحابه دخلوا البيت الحرام، وحلق بعضهم، وقصر البعض. قال ابن كثير: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ- قَدْ أُرِيَ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ دَخَلَ مَكَّةَ، وَطَافَ بِالْبَيْتِ، فَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا سَارُوا عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ لَمْ يَشُكَّ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أَنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا تَتَفَسَّرُ هَذَا الْعَامَ، فَلَمَّا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشّروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتَابة الشّروط. صحيح البخاري ج (٢ / ٩٧٤) ح (٢٥٨١).

(٢) أي: أمرا مطويا في صدور سليمة، وهو إشارة إلى ترك المؤاخذة بما تقدم بينهم من أسباب الحرب وغيرها والمحافظة على العهد الذي وقع بينهم. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥ / ٣٤٣،٣٤٤) ابن حجر.

(٣) أي: لا سرقة ولا خيانة فالإسلال من السلة وهي السرقة. والإغلال الخيانة تقول أغل الرجل أي خان. فتح الباري (٥ / ٣٤٤).

(٤) انظر تلك البنود في الروايات التالية: رواية البخاري في صحيحه في كتاب الشروط (سبق تخريجه، وفي كتاب الصلح، باب الصلح مع المشركين ح (٢٥٥٤)، ورواية الإمام احمد في مسنده (١٢٤/٢) ح (٦٠٦٧) و(٣٢٥/٤) ح (١٨٩٣٠) وحسنه شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند، وابو داود في سننه (٥٣٢/٢) في كتاب الجهاد ح (٢٧٦٦) وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم(٢٧٦٦)، والسيرة النبوية (٢٨٥/٤) ابن هشام، و البيهقي في السنن الكبرى (٢٢٢/٩، ٢٢١، ٢٢٧) وحسنه شعيب الرناؤوط.

وَقَعَ مَا وَقَعَ مِنْ قَضِيَّةِ الصُّلْحِ، وَرَجَعُوا عَامَهُمْ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَعُودُوا مِنْ قَابَلَ، وَقَعَ فِي نُفُوسِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، حَتَّى سَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ- رضي الله عنه- فِي ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ فِيمَا قَالَ: أَفَلَمْ تَكُنْ تُخْبِرُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: "بَلَى، أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ عَامَكَ هَذَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: "فَإِنَّكَ آتِيهِ، وَمُطَوِّفٌ بِهِ". وَبِهَذَا أَجَابَ الصِّدِّيقُ- رضي الله عنه- أَيْضًا حَذْو الْقُذَّة بِالْقُذَّة؛ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[سورة الفتح:٢٧] هذا لتحقيق الخبر وتوكيده)[١]. قال ابن حجر: (رؤيا الأنبياء وحي، وأن عصمتهم في المنام كاليقظة)[٢]، ولذا كان أول ما بدأ به النبوة صدق رؤياه- صلى الله عليه وسلم-، جاء في حديث عائشة- رضي الله عنها- في بدء الوحي: وأنه- صلى الله عليه وسلم- ما كان يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح [٣].

٢- استحباب الفأل:

الفأل الحسن عكس الطيرة، وقد تجلى في صلح الحديبية درسٌ عقديٌّ في استحباب التفاؤل بالأسماء والأقوال؛ عندما جاء سهيل بن عمرو لمفاوضة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: (سهل أمركم)، وكان كما قال- صلى الله عليه وسلم- فسهل أمر المسلمين، وبيّن- صلى الله عليه وسلم- معنى الفأل، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: (لَا طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ، قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ) [٤].

وإنما كان- صلى الله عليه وسلم- يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله- عز وجل- بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله- عز وجل- على كل حال. فيتضح الفرق بين الفأل والطيرة: أن الفأل من طريق حسن الظن بالله، والطيرة لا تكون إلا في السوء، فلذلك كرهت [٥].

وذكرت الطيرة عند النبي- صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: (أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ) [٦].

٣- إحسان الظن بالآخرين:

سريرة المرء مطيته التي يسير عليها في الحياة، وفي تعامله مع الآخرين، فإذا حسنت السريرة حسن الظن بالآخرين، وإذا ساءت ساء ظن المرء بمن حوله.

وفي الحديبية يعلمنا النبي- صلى الله عليه وسلم- درسًا عقديًا قلبيًا في إحسان الظن حتى في غير المكلفين، وذلك عندما بركت به راحلته في الثنية، فانتهرها الصحابة، فألحت فقالوا: خلأت القصواء، فقال- صلى الله عليه وسلم-: (مَا خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ). قال ابن حجر: (جواز الحكم على الشيء بما عرف من عادته وإن جاز أن يطرأ عليه

---

[١] تفسير القران العظيم (٤/ ٢٠٢).
[٢] فتح الباري (١٨٢/٩).
[٣] أخرجه أبو عروبة في كتاب الأوائل (٧١/١).
[٤] أخرجه البخاري في صحيحه (٢١٧٢/٥) في كتاب الطب، باب الطيرة ح (٥٤٢٢).
[٥] فتح الباري (١٠ /٢١٥) ابن حجر.
[٦] أخرجه ابو داوود في سننه (١٨/٤) في كتاب الطب، باب الطيرة ح (٣٩١٩). وقال ابن حجر في تخريج مشكاة المصابيح (٢١٩/٤): مرسل.

غيره فإذا وقع من شخص هفوة لا يعهد منه مثلها، لا ينسب إليها، ويرد على من نسبه إليها ومعذرة من نسبه إليها ممن لا يعرف صورة حاله؛ لأن خلاء القصواء لولا خارق العادة لكان ما ظنه الصحابة صحيحًا، ولم يعاتبهم النبي- ﷺ- على ذلك؛ لعذرهم في ظنهم)[١]. فإذا كان النبي قد أعذر غير المكلف من الدواب، وأحسن الظن بها، فمن باب أولى أن يعذر المكلف، ويحسن الظن فيه، ويذب عن عرضه كما فعل النبي- ﷺ -.

٤- آية تكثير الماء دليل على صدق نبوته- ﷺ-:

آيات النبي محمد- ﷺ- التي تدل على صدق نبوته كثيرة، ومنها: آية تكثير الماء، والتي حدثت مرات عدة في مواقف مختلفة، منها يوم الحديبية، فحين نزَلَ- ﷺ- بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَةِ على ثمَدٍ قلِيلِ الْماءِ يتَبَرَّضُهُ [٢] الناس تبرضاً، فلم يُلبِّثْهُ الناس حتى نزَحُوهُ، فشُكِيَ إلى رسول اللهِ- ﷺ- الْعطَشُ، فانْتَزَعَ سهْمًا من كِنانَتِهِ، ثمَّ أَمَرَهُمْ أنْ يجْعَلُوهُ فيهِ، فما زالَ يجِيشُ لهم بالرِّيِّ حتى صدَرُوا عنه [٣]. وفي رواية أخرى عند البخاري عن البَرَاءِ- رضي الله عنه-قال: كُنَّا يوم الْحدَيْبِيَةِ أَرْبَعَ عَشرَةَ ومائَةً، وَالْحدَيْبِيَةُ بئْرٌ، فَنَزَحنَاهَا حتى لم نَتْرُكْ فيها قَطرَةً، فجَلَسَ النبي- ﷺ- على شَفيرِ الْبئْرِ، فدَعَا بمَاءٍ فَمَضمَضَ ومَجَّ في الْبئْرِ، فَمَكَثْنَا غير بَعيدٍ، ثمَّ استَقَيْنَا حتى رَوينَا ورَوَتْ أو صدَرَتْ رَكَائِبنَا [٤].

٥- وجوب التسليم لله ورسوله ﷺ:

من أعظم دروس صلح الحديبة: وجوب التسليم لله ورسوله- ﷺ- اتضح ذلك جليًا بموقف الصحابة- رضي الله عنهم- في جميع أحداث صلح الحديبية، فتركوا المعارضة العقلية والعاطفية، واستسلموا للوحي. يقول سهل بن حنيف- رضي الله عنه-: (اتهموا الرأي فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد على رسول الله- ﷺ - أمره لرددت، والله ورسوله أعلم). لقد كان الصحابة- رضي الله عنهم- مسلَمين لله ورسوله، رغم مخالفة ما يرونه وما يقع في ذلك الصلح لرغباتهم وتطلعاتهم، ورغم حجم الاحتقان الذي عصف بهم مع تطورات الحدث، حتى بلغ بهم التوتر الحدَّ الذي وصفه سهل بن حنيف.

إن مبدأ التسليم لله ورسوله يتضح في كل مشهد الصلح، ولكنه يتجلَّى أكثر في بعض مواقفه، ومنها:

أ- عندما شرع النبي- ﷺ- في إملاء صيغة المعاهدة المتفق عليها، أمر كاتبه علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- أن يبدأ المعاهدة بكلمة (بسم الله الرحمن الرحيم)، فاعترض رئيس الوفد القرشي سهيل بن عمرو قائلًا: (أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ- ﷺ- :(اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ).

---

[١] فتح الباري (٥ /٣٣٦).

[٢] أي: يأخذونه قليلاً قليلاً، والبرض: هو اليسير من العطاء. انظرعمدة القاري (٨ / ١٤) العيني.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه (٩٧٤/٢) في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ح (٢٥٨١).

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه (١٣١١/٣) في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ح (٣٣٨٤).

ب- أمر الرسول- ﷺ- عليًا- ﷺ- بأن يكتب: (هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله) فقال سهيل: والله لوكنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. واعترض المسلمون على ذلك ولكن النبي-ﷺ- بحكمته وبعد نظره واستشرافه للمستقبل، أمر الكاتب أن يمحو كلمة رسول الله، فقال النبي- ﷺ-: (وَاللهِ إِنّي لَرَسُولُ اللهِ- وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِ- اكْتُبْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ).

ج- قال النبي- ﷺ- لسهيل: (عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ)، فقال سهيل: (وَاللهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ)، فكتب هذا الشرط؛ وما كان من الصحابة إلا التسليم المطلق؛ رغم أن الهدي قد سيق وهم بإحرامهم يترقبون ويتشوقون للعمرة.

د-ونختم بمشهد أخير لمبدأ التسليم في ذلك الصلح التربوي العظيم حيث اشترط سهيل شرطًا، ليرفع حالة الاحتقان والتوتر أقصاها لدى الصحابة بقوله: (أنَّ من جاء منكم لم نرده عليكم، ومن جاءكم منَّا رددتموه علينا، فقالوا: يا رسول الله أنكتب هذا؟ قال: نعم، إنَّه مَن ذهب منَّا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجًا ومخرجًا)، عندئذٍ قال الْمُسْلِمُونَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ! كَيْفَ يُرَدُّ إلى الْمُشْرِكِينَ وقد جاء مُسْلِمًا؟!)، ويشاء الله في هذه اللحظة أن يدخل أبو جَنْدَلِ بنُ سُهَيْلِ بنُ عَمْرٍو هاربًا من قريش يَرْسُف في قُيُودِهِ، وقد خَرَجَ من أَسْفَلِ مَكَّةَ حتى رَمَى بِنَفْسِهِ بين أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ، فقال سُهَيْلٌ: (هذا يا محمد أَوَّلُ ما أُقَاضِيكَ عليه أَنْ تَرُدَّهُ إليَّ، فقال النبي- ﷺ-: إِنَّا لم نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ. قال: فَوَاللَّهِ إِذًا لم أُصَالِحْكَ على شَيْءٍ أَبَدًا، قال النبي- ﷺ-: فَأَجِزْهُ لي، قالَ: ما أنا بِمُجِيزِهِ لَكَ، قال: بَلَى فَافْعَلْ، قال: ما أنا بِفَاعِلٍ، قال مِكْرَزٌ: بَلْ قد أَجَزْنَاهُ لك. قال أبو جَنْدَلٍ: أَيْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إلى الْمُشْرِكِينَ وقد جِئْتُ مُسْلِمًا؟! ألاَ تَرَوْنَ ما قد لَقِيتُ؟ وكانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا في اللَّهِ). هذا المشهد يبين الأثر البالغ لذلك الشرط على الصحابة- ﷺ- والذي جعل عمر الفاروق- ﷺ- يقدم على خطوة جريئة عندما سار بجانب أبي جندل لمواساته قائلا: (اصبر أبا جندل، فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب، قال: ويدني قائم السيف منه، قال: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، قال: فظن الرجل بأبيه ونفذت القضية) [1].

إنَّ التَّسليم لنصوص الوحيين ليس اعترافًا بصحة نسبتها لله والرسول فحسب، إن التَّسليم الحقَّ للنصوص أَن يتلقى العبد أوامر الشَّرع ونصوصه بالقبول والرضا التام بحكم الله، وبالامتثال فلا يعرض عنها، وبالحب فلا يكرهُ شيئًا مما جاء فيها، وبالصبر عليها وعلى ما يصيبه من أقدار الله. وهو عمل قلبي يتحقق بتنقية القلب من كل شبهة تعارض الخبر وشهوة تعارض الأمر، وإرادة تعارض الإخلاص، واعتراض يعارض القدر والشرع، وعبودية التسليم

[1] رواه الامام أحمد في مسنده (٤ / ٣٢٥) ح (١٨٩٣٠) وحسنه شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند.

المطلق لله ولرسوله- ﷺ- يكون صاحبها من القلوب السليمة التي تنجو يوم القيامة. (١)

وهكذا تجلّى في جميع مواقف صلح الحديبية عبودية التسليم التي تمكنت في قلوب الصحابة، وعرفوا بعد ذلك نتائجها عندما نزلت سورة الفتح على النبي- - ﷺ بعد انصرافه من الحديبية بجيشه الحزين الكئيب فقال لهم رسول الله- ﷺ- : (أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، فَتَلَاهَا رَسُولُ اللهِ- ﷺ- عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، بَيَّنَ اللهُ لَكَ مَا يَفْعَلُ بِكَ فَمَاذَا يَفْعَلُ بِنَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ الْآيَةَ بَعْدَهَا: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨] وكان يقرأ على صحابته: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [سورة الفتح:١] وهو بكراع الغميم (٢)، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: (نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّهُ لَفَتْحٌ)، فانقلبت كآبة المسلمين وحزنهم إلى فرح، وأدركوا أن وراء أقدار الله- ﷻ- حِكمًا لا يعلمونها، وأن التَّسليم لأمر الله ورسوله فيه كلُّ الخير لهم ولدين الله- ﷻ-.

٦- وجوب محاسبة النفس:

من الدروس العقدية المستفادة من صلح الحديبة: موقف عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- في محاسبته لنفسه، وتخوفه زمنًا طويلًا من أن ينزل به عقوبة جراء ما قاله يوم الحديبية، وكان يقول: (ما زِلْتُ أَصومُ وأَتَصَدَّقُ وَأَصَلِّي وأعتق منَ الذي صَنَعتُ مخَافَةَ كلامي الذي تَكَلَّمتُ بهِ يَوْمَئِذٍ حتى رَجَوتُ أن يَكونَ خَيرًا) (٣)، وفي رواية البخاري، قال عمر- رضي الله عنه-: (فعملت لذلك أعمالًا).

ومحاسبة النفس منهج شرعي لتقويم اعوجاجها، وضمان سيرها على الطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الحشر:١٨]. هذه المحاسبة القلبية للنفس جعلت عمر بن الخطاب يعمل أعمالًا كثيرةً خيرية لتكفر هذا الأمر الذي صدر عنه، والذي رآه كبيرًا حتى خاف عاقبته.

٧- جواز القيام على رأس الكبير وهو جالس عند التعامل مع الأعداء:

قام المغيرة بن شعبة- رضي الله عنه- على رأس النبي-ﷺ- بالسيف يوم الحديبية وهو قاعد، ولم يكن من عادة النبي- ﷺ- السماح لأحد بالوقوف فوق رأسه، أو تعظيمه، ولكن لما كان الموقف يستدعي إظهار الفخر والعز والتعظيم للقائد أمام الأعداء، لم ينكر النبي- ﷺ- ذلك على شعبة؛ فإظهار القوة واللحمة للأعداء بين القائد وجيشه؛ يبث الرعب والخوف في قلوب عدوهم، ويبعثهم للتفكير قبل الإقدام على المواجهة العسكرية، ولا يدخل ذلك في نهي النبي- ﷺ- وذمِّه لمن أحب أن يقف له كما جاء في حديث

(١) انظر مدارج السالكين (١٧٨/٢) ابن القيم.
(٢) مكان بين مكة والمدينة. عمدة القاري (٢٠ / ١٦١).
(٣) سبق تخريجه.

معاذ فيما يرويه عنه- ﷺ- بقوله- ﷺ-: (من أحب أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار).[١]

فالحرب لها أحكام خاصة يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها من إظهار الفخر والخيلاء والتعظيم. ولابد من التفرقة بين القيام للرجل إذا أقبل، وبين القيام عليه، قال ابن القيم: (أنه- ﷺ- كان ينهي عن القيام له إذا خرج عليهم، ولأن العرب لم يكونوا يعرفون هذا، وإنما هو من فعل فارس والروم، ولأن هذا لا يقال له قيام للرجل، إنما هو قيام عليه، ففرق بين القيام للشخص المنهي عنه، والقيام عليه المشبه لفعل فارس والروم، والقيام إليه عند قدومه الذي هو سنة العرب، وأحاديث الجواز تدل عليه فقط).[٢]

٨-كفر من اعتقد تأثير الكواكب:

صلى النبي-ﷺ- بالصحابة صلاة الصبح بالحديبية إثر سماء كانت من الليلة، وكان بعض القوم قد قالوا مطرنا بنوء كذا، فقال- ﷺ -: (هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَصْبَحَ من عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَب).[٣]

والكفر المذكور في الحديث يحمل على أمرين حسب نية القائل واعتقاده:

[١] أخرجه البخاري في الأدب المفردج (٩٧٧) وصححه الالباني في صحيح الأدب (٣٧٣) ح (٧٤٨).

[٢] حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (١٤ / ٩٥).

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه (١٥٢٤/٤) كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية ح (٣٩١٦).

الأمر الأول: مَن قال: (مطرنا بنوء كذا)، معتقدًا أنَّ للكواكب تأثيرًا في إيجاد المطر وإنزاله، فهو كافر كفرًا مخرجًا من الملَّة.

الأمر الثاني: مَن قال: (مطرنا بنوء كذا)، قاصدًا أنه مطر وقت كذا وكذا فلا يكون كفرًا، والأولى البعد عن هذا اللفظ واستبداله بلفظ آخر.[٤]

٩-حكم التبرك بآثار النبي- ﷺ- الشريفة:

وصف عروة بن مسعود أصحاب رسول الله- ﷺ- وهم حوله بقوله: (فوَاللَّهِ ما تنَخَّمَ رسول اللهِ- ﷺ- نُخامَةً إلا وقَعَتْ في كفِّ رجُلٍ منهم فدَلَكَ بها وجْهَهُ وجِلْدَهُ، وإذا توَضَّأَ كادُوا يقْتَتِلُونَ على وَضُوئِهِ)، والتبرك بآثار رسول الله- ﷺ كشعره، أو عرقه وما مس جسده، لا بأس به؛ لأن السنة قد صحت بذلك، فقد قسَّم- ﷺ- في حجة الوداع بين الناس شعر رأسه، وجاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك - رضي الله عنه-قال: (دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ- ﷺ- فَقَالَ عِنْدَنَا فَعَرِقَ، وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ الْعَرَقَ فِيهَا، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ- ﷺ- فَقَالَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟ قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ) ، وذلك لما جعل الله فيه من البركة والخير.

أمَّا التبرك بآثار غيره فهو ممنوع لأمور منها: عدم المقاربة فضلاً عن المساواة للنبي-ﷺ- في الفضل والبركة، ومنها: عدم تحقق الصلاح، فإنه لا يتحقق إلا بصلاح القلب، وهذا لا يمكن الاطلاع عليه إلا

[٤] انظر غزوة الحديبية (٣٠٥) الحكمي.

بنصٍّ شرعيّ كحال النبي- ﷺ-، ومنها: أنَّا لو ظننا صلاح شخص، فلا نأمن أن يختم له بخاتمة سوء، والأعمال بالخواتيم، فلا يكون أهلاً للتبرك بآثاره، ومنها: أن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك مع غيره لا في حياته، ولا بعد موته، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، فلم يفعلوه مع أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ونحوهم من الذين شهد لهم النبي- ﷺ- بالجنة، فدل على أن ذلك مخصوص بالنبي- ﷺ-، ومنها: أن فعل هذا مع غيره- ﷺ- لا يؤمن أن يفتنه، وتعجبه نفسه، فيورثه العجب والكِبر والرياء، فيحصل إفساد له[١].

١٠- موافقة الكفار في بعض طلباتهم لا يعني موالاتهم ومحبتهم:

لقد أُرغمت قريش على كتابة الصلح بعد رسولها الخامس سهيل بن عمرو، وقبول ما أشار به- ﷺ- عليهم، وبدأت إجراءات كتابة الصلح، وفي أثناء كتابته وافق النبي- ﷺ- كفار قريش في بعض طلباتهم لمصلحة الإسلام والمسلمين، كالتخلي عن كتابة: (بسم الله الرحمن الرحيم)، إلى: (باسمك اللهم)، وترك وصف رسول الله- ﷺ- بالرسول إلى ذكر اسمه مجردًا (محمد بن عبد الله). ولا مفسدة فيما طلبوه، فمعناها كلها واحد ولا ضير على الإسلام في ذلك.

فلم يجبهم النبي- ﷺ- في تحليل حرام، أو ما يشعر بتعظيم دينهم، وعبادتهم للأوثان. ولم يكن ذلك ليغير شيئًا من كرهه- ﷺ- للكفار وبغضه لهم، وعدم موالاتهم ومحبتهم، فإن النبي-ﷺ-لم يتنازل لقريش كما فهمه بعض الصحابة لأجلهم، وإنما لحكم عظيمة تبينت للصحابة فيما بعد. ولذا قال- ﷺ-: (لا يسألونني خُطّةً يُعظِّمُونَ فيها حُرُماتِ اللهِ إلا أعْطَيْتُهُمْ إيّاهَا). قال ابن القيم- رحمه الله-: (إن مصالحة المشركين ببعض ما فيه ضيم على المسلمين جائزة للمصلحة الراجحة، ودفع ما هو شر منه، ففيه دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما).[٢]

أما البراءة من المشركين فلا تزول بمجرد الاستجابة لبعض طلباتهم، بل لابد من زوالها من الإيمان بالله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة التوبة:١١]. فمن تاب من الشرك، ودخل بالإيمان بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فهو المسلم الذي يجب موالاته ومحبته.

١١-وجوب طاعة ولي الأمر:

يتضح جليًا في صلح الحديبية طاعة الصحابة للنبي- ﷺ- في جميع ما يأمر به، رغم كراهية بعضهم لهذا الصلح أو بعض بنوده، وهذا التزامًا بقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء:٥٩]. فالنبي- ﷺ- مطاع لكونه رسول الله،

[١] انظر تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (١٥٣،١٥٤).

[٢] زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٢٧٢).

وكونه ولي الأمر. وولي الأمر يجب طاعته، وعدم الخروج عليه؛ لما يترتب على ذلك من المفاسد العظيمة، والتي منها: تسلط الأعداء، وزعزعة أمن الأمة وكيانها، وليس في موقف عمر - ﷺ - عندما أشار على النبي - ﷺ - بعثمان - ﷺ - رسولًا لقريش بدلًا منه عدم طاعة لولي الأمر، وليس فيه ما ينقص من قدر عمر -ﷺ-، بل هو دليل على رجحان عقله، وسداد رأيه، وقوة إيمانه، وطاعته المطلقة لرسول الله - ﷺ -، ففي رواية الواقدي: (وإن أحببت يا رسول الله دخلت عليهم).[1] وإنما أشار بعثمان لمكانته عند قريش - كما ورد في الحديث - ولأنه يريد النجاح لمهمة رسول الله - ﷺ - فأشار إليه بالرجل المناسب لها، فعمر - ﷺ -لم يرفض أمر ولي الأمر، ولكن المقام مقام سياسة ومفاوضات، فأبدى عمر رأيه مصحوبًا بالأدلة المقنعة، ولهذا رحَّب رسول الله - ﷺ - برأيه، ووقف عنده وأرسل عثمان.

١٢- العقيدة هي المحرك الأقوى لسلوك الإنسان:

عقيدة المرء وما يدين به هي المحرك الأساس لسلوك الإنسان، اتضح ذلك جليًا في موقف النبي - ﷺ - مع رسول قريش الحليس بن علقمة عندما رآه الرسول - ﷺ - مقبلًا، قال لأصحابه: (هذا فلَانٌ وهو من قَومٍ يعَظِّمُونَ الْبدْنَ فَابْعَثوهَا له فَبعِثَتْ له)، فاستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك الحليس قال: سبحان الله! ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت. لقد عرف رسول الله - ﷺ - أن العقيدة ستحرك هذا الرسول، ويتصرف وفق ما يعتقده؛ لأنه من قوم يعظمون البدن في قلوبهم، وفعلًا لم تخطئ فراسة رسول الله - ﷺ -، ورجع لقومه وقد خسروه كداعم لموقفهم ضد رسول الله - ﷺ - وأصحابه.

١٣-وجوب تعظيم حرمات الله-ﷻ-:

من الدروس العقدية المستوحاة من صلح الحديبة: أنه يجب تعظيم حرمات الله-ﷻ-، وهذا الذي دعا النبي - ﷺ - للوقوف عند بعض طلبات قريش، وقال - ﷺ -: (لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إيَّاها).

قال الخطابي - رحمه الله-: (معنى تعظيم حرمات الله في هذه القصة: ترك القتال في الحرم، والجنوح إلى المسألة، والكف عن إراقة الدماء)[2]. إذًا الوقوف عند طلبات قريش كان تعظيمًا حقيقة لحرمات الله.

١٤- عدم تحكيم الأهواء والآراء:

الهوى والرأي غير المنضبط بالشريعة يجب مخالفته وعدم تحكيمه، وفي صلح الحديبية اتضح كيف خالف الصحابة أهواءهم وآراءهم؛ فعلى الرغم من استنكارهم لبعض بنوده في موقف أبي جندل بقولهم: (سبحان الله! كيف يُردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلمًا)، ووقفوا مع عمر - ﷺ - بقوله لرسول الله - ﷺ -: (أَلَسْتَ نَبِيَّ اللهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا

---

[1] المغازي للواقدي (٢ / ٦٩).

[2] انظر فتح الباري (٣٣٦/٥).

عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا؟! أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟!) ومع ذلك رضخوا، وسلموا لله ورسوله، واتضح لهم بعد ذلك حكم وفوائد الصلح بعد أن نزلت سورة الفتح، حتى كان عمر– –رضي الله عنه يلقن الناس درسًا بوجوب مخالفة الهوى أمام حكم الله ورسوله بقوله: (أيها الناس اتهموا الرأي على الدين، فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله– ﷺ– برأيي اجتهادًا، فو الله ماآلو عن الحق وذلك يوم أبي الجندل) كان سهل بن حنيف يقول: (اتهموا رأيكم رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله– ﷺ– لرددته).[1] إنه درس عقدي عظيم الأثر بوجوب مخالفة الهوى أمام حكم الله ورسوله، قال تعالى: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾[سورة ص:٢٦].

١٥–حب الصحابة النبي– ﷺ–:

لقد أشرب في قلوب الصحابة حب رسول الله– ﷺ– حتى بذلوا الغالي والرخيص من أجله، وفي صلح الحديبية تجسَّد هذا الحب في أروع الصور والمواقف، ومن ذلك: ما فعله عروة بن مسعود الثقفي–رضي الله عنه– مع ابن أخيه المغيرة بن شعبة يوم صلح الحديبية عندما كان واقفًا على رأس رسول الله– ﷺ– في الحديد يحرسه، فامتدت يد عروة إلى لحية رسول الله– ﷺ– وكان يفاوضه على الصلح يومئذ، فقرع المغيرة يد عروة، ثم قال له: أمسك يدك عن لحية رسول الله– ﷺ– قبل ألا تعود إليك، يهدده بقطعها، فقال عروة: ما أفظك وأغلظك! ثم قال لرسول الله– ﷺ–: من هذا يا محمد؟ فتبسم رسول الله– ﷺ– وقال: (هَذَا ابْنُ أَخِيكَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، قَالَ: أَغُدَرُ، هَلْ غَسَلْتَ سَوْأَتَكَ إِلَّا بِالْأَمْسِ؟).[2]وفي موقف آخر يعبر عنه عروة الثقفي لقومه بقوله: (أَيْ قَوْمِ، والله لقد وفَدْتُ على الْمُلُوكِ، ووَفَدْتُ على قَيْصَرَ وكِسْرَى والنَّجَاشِيِّ، والله إن رأيت ملِكًا قطُّ يُعظِّمُهُ أصْحَابُهُ ما يُعظِّمُ أصْحَابُ مُحمَّدٍ– ﷺ– مُحمَّدًا، والله إن تنَخَّمَ نُخامَةً إلا وقَعَتْ في كفِّ رجُلٍ منهم، فدَلَكَ بها وجْهَهُ وجِلْدَهُ، وإذا أمَرَهُمْ ابْتدَرُوا أمْرَهُ، وإذا توَضَّأَ كادُوا يقْتَتِلُونَ على وضُوئِهِ، وإذا تكَلَّمَ خفَضُوا أصْوَاتَهُمْ عِنْدهُ، وما يحِدُّونَ إليه النّظَرَ تعْظِيمًا له، وإِنَّهُ قد عرَضَ علَيْكُمْ خُطّةَ رشْدٍ فاقْبَلُوهَا).[3]

إنها محبة رسول الله– ﷺ– التي تمكنت في نفوس الصحابة حتى فدوه بأنفسهم، وأموالهم، وأهليهم، عملًا وتحقيقًا لقوله– ﷺ– في حديث أنس بن مالك– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله– ﷺ–: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ). [4]

١٦– البشارة لكل مسلم مستضعف بالفرج بعد الشدة، وبالعز بعد الذل، وبالتمكين بعد الطرد والابعاد.

[1] أخرجه البخاري في صحيحه (٣٠١٠/٣) في كتاب الجزية، باب من عاهد ثم غدر ح (١١٦١)

[2] سبق تخريجه.

[3] سبق تخريجه.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه (١٤/١) في كتاب الإيمان، باب حب الرسول من الإيمان ح (١٥).

كما هي عادة رسول الله -ﷺ- أنه يبشر بالخير، وبانقشاع ليالي الظلم والجورلكل مستضعف ومضطهد، وفي صلح الحديبية بشارة لكل المستضعفين أن ضعفهم لايدوم، وأن قوة الباطل لاتصمد أمام الحق، بل سرعان ما ينهار كيانها وتتزعزع قواعدها، ويتضح ذلك لما قدم أبوجندل إلى النبي - ﷺ- في المدينة قادما من مكة، بعدالانتهاء من كتابة الصلح، وما كان للنبي - ﷺ- بدٌّ من إرجاعه وإن أبدى للنبي- ﷺ- تخوُّفه من فتنة المشركين وعذابهم، واكتفى الرسول- ﷺ- بالقول له:(يا أبَا جنْدَلٍ اصْبرْ واحْتَسِبْ فان اللهّ عز وجل جاعِلٌ لك ولِمَنْ معَكَ منَ الْمُسْتضْعَفِينَ فرَجاً ومَخْرَجاً، إنا قد عقَدْنَا بيْنَنَا وبَيْنَ الْقوْمِ صلْحاً فأَعْطَيْنَاهُمْ على ذلك وأَعْطَوْنَا عليه عهْداً، وأنا لنْ نغْدِرَ بهِمْ) [١].أنها بشارة له ولجميع المستضعفين في كل زمان ومكان بانبلاج الظلام، وبزوغ فجرالعز والتمكين. وتتحق البشارة، فلما قدم النبي- ﷺ- المدينة، وأقام بها جاءه أبو بصير، هارباً من قريش، وترسل قريش رجلين خلفه، ويرده رسول الله - ﷺ- التزاما بشروط الصلح، ويخرج أبو بصير مع صاحبيه القرشيين ليعود إلى مكة؛ فما أن جاوز المدينة بقليل . قيل: عند ذي الحليفة . حتى قَتَلَ أحد الرجلين، وفرّ الآخر هائماً على وجهه مستصرخاً بالنبي - ﷺ- فزعاً، فيخبره المصطفى - ﷺ- أن الأمر انتهى بتسليمه لهما. فيأتي أبو بصِيرٍ قائلا:(يا نبِيَّ اللهِ قد والله أوْفَى الله ذِمّتَكَ قد ردَدْتَنِي إليْهِمْ ثمَّ أنْجَانِي الله منهم قال النبي- ﷺ- ويْلُ أمِّهِ مِسْعرَ حرْبٍ لو كان له أحَدٌ فلما سمع ذلك عرَفَ أنَّهُ سيَرُدُّهُ إليْهِمْ) [٢] وفهم أبو بصير هذه الرسالة، وانطلق إلى الساحل حتى نزل إلى (العيص) (على طريق أهل مكة إذا قصدوا الشام) ثم انضمّ إليه كل من فرّ من قريش من مستضعفي المسلمين بمكة،ومنهم أبو جندل، وشكّلوا هناك قوةً وخطراً على تجارة قريش، وهم خارج إطار الصلح حتى ضاقت قريش بهم، وطلبت من النبي - ﷺ-أن يُلغي الشرط الخاص بمن قدم إليه من المسلمين، وأن يستقبل هؤلاء.

وهكذا تقوّى شوكة الضعفاء، ويستضعف الأقوياء، وينصرهم الله بعد ظلم، ويفرج لهم بعد هم، فبعث النبي - ﷺ- إلى قائدهم أبا بصير ليرجع ومن معه وينضموا إليهم، فيفرحون جميعا بذلك، وتوافي المنية أبا بصير وهو يقرأ كتاب رسول الله- ﷺ- فيضعه على صدره ويموت وبقبرومعه بكتاب رسول الله - ﷺ-.

١٧-لا يقضي الله-ﷻ- قضاءً إلا وفيه خير في الدنيا والآخرة، ووراءه حكم عظيمة.

كان الصحابة- ﷺ- يرون صلح الحديبة بادي الأمر مجحفًا لهم. ولإيمانهم بالله ورسوله سلَّموا الأمر لهما دون رؤيتهم بادي الأمر للخير الذي فيه، ولكن هذا الصلح كان فيه الخير كله، والعزُّ والتمكين للمسلمين، وهذا ما لمسه الصحابة بأنفسهم بعد

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

الصلح مباشرة، وكان أول ثماره: نزول سورة الفتح، وما تحمله من بشارات عدة للمؤمنين، فكان الصلح فتحًا للمسلمين. قال تعالى:﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾[الفتح:١]. قال ابن كثير-رحمه الله-: أي بيانًا ظاهرًا، والمراد به صلح الحديبية، فإنه حصل بسببه خير جزيل، وآمن الناس، واجتمع بعضهم ببعض، وتكلم المؤمن مع الكافر، وانتشر العلم النافع.[١]

فكان الخير العميم في هذا الصلح، وهذا يجري في كل أمر يأمر الله به، وفي كل قضاء يقضيه الله- ﷻ- ففيه خير وحكم عظيمة، علمناها أولم نعلمها، بل حتى ولو لم تر أعيننا هذا الخير، فنؤمن إيمانًا جازمًا أن الخير فيما يختاره الله، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء:١٩]. وفي حديث أنس قال: قال رسول الله- ﷺ-: (عَجَبًا لِلْمُؤْمِنِ، لَا يَقْضِي اللهُ لَهُ شَيْئًا إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ) [٢]. فهذا الصلح تمخضت عنه منافع عظيمة، وحكم جليلة، تكشفت فيما بعد للمؤمنين، وعلموا مافيها من خير، ولأهميتها يحسن إفرادها بالمبحث التالي.

المبحث الرابع: فوائد ومكاسب صلح الحديبية:

بالرغم من أن الصحابة- ﷺ- كانوا يرون الصلح ضيمًا لهم، وصدًا عن بيت الله، إلا أنه تبين لهم بعد ذلك حكمٌ عظيمة من ورائه حتى عدوه عزًا لهم، وتمكينًا، وفتحًا مبينًا، قال ابن مسعود- ﷺ-: (إنكم تعدون الفتح فتح مكة، ونحن نعد الفتح صلح الحديبية). [٣]

هذا الصلح له ثمار جليلة، ومنافع جسيمة يمكن إيجاز بعض منها فيما يلي:

١-فتح مكة:

من أهم ثمار صلح الحديبية: فتح مكة، فبعد أن نقض المشركون الصلح كان هذا سببًا لدخول المسلمين مكة، قال النووي-رحمه الله-: (من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التي كانت عاقبتها فتح مكة، وإسلام أهلها كلها، ودخول الناس في دين الله أفواجًا).[٤]

٢-الاعتراف الرسمي بالإسلام:

لقد انتزع صلح الحديبية من قريش ما ظلت سنوات تتهرب من الإقرار به وهو: أن الإسلام دين، وأن لأتباعه الحق في أداء ما افترضه عليهم من شعائر في بيت الله الحرام، وأن لمحمد- ﷺ- وأصحابه مكانة في الوصاية القرشية، وكان له أثر في نفوس القبائل المجاورة التي اعتادت الخضوع لسطوة قريش [٥]

٣- إلقاء مهابة المسلمين في قلوب المشركين والمنافقين:

---

[١] تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٨).
[٢] أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/٥٠٧) ح (٧٢٨) والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٥/٦٧) ح (١٦٩٢)، وأحمد في مسنده (٥/٢٥٦٤) ح (١٢٣٤٣). وصححه الألباني في السلسة الصحيحة رقم (١٤٨).
[٣] تفسير القرآن العظيم (١٨٣/٤) ابن كثير.
[٤] شرح النووي على صحيح مسلم (١٢ / ١٤٠).
[٥] انظر الجامع لأحكام القرآن (١٧٣/١٦) القرطبي.

تجلى ذلك بمسارعة كثير من صناديد قريش إلى الإسلام والدخول فيه، فلقد تيقنوا بغلبة الإسلام وأهله، ومن هؤلاء: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة-ﷺ-، وسارع كثير من الأعراب المجاورين إلى الاعتذار عن تخلفهم عن رسول الله- - ﷺ.

٤-تفرغ الرسول ﷺ للدعوة للإسلام:

حيث أرسل رسائل، وخاطب قادة بعض الدول العظمى كقيصر، وكسرى، والنجاشي، والمقوقس، وأمراء الأعراب، وغيرهم من الملوك والقادة؛ ممَّا ساهم في نشر الإسلام، واتساع نفوذه، ودخلت كثير من قبائل العرب في دين الله لما أتيحت فرصة الاختلاط بالمسلمين عن قرب. [1]

٥- تفرغ الرسول- ﷺ- لمحاربة اليهود ومن يناوئهم: فبعد أن أمن النبي- ﷺ- جانب قريش؛ توجه لمحاربة عدو لدود، وهم اليهود فكانت غزوة خيبر، ففتحها الله- ﷻ- على نبيه، وغنم المسلمون غنائم كثيرة في هذه الغزوة.

٦-استراحة المسلمين من الحرب:

أتاح للمسلمين هدنة استراحوا فيها من الحروب التي شغلتهم واستهلكت قواهم، وذلك أن الكفار في الجزيرة كانوا يعتبرون قريشًا هـ رأس الكفر، وحاملة لواء التمرد والتحدي للدين الجديد، وعندما شاع نبأ الصلح مع المسلمين انفرط عقد الكفار في الجزيرة، وضعفت الرابطة التي كانت تجمعهم وتؤلبهم على الإسلام، ومن ثم خمدت فتن المنافقين الذين يعملون لحساب كفار قريش ويعتمدون على معونتهم.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي أكمل الدين، وأتم النعمة، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمةً للعالمين، وجعله خاتمًا للنبيين

بعد أن منَّ الله- ﷻ- عليَّ بإنجاز هذا البحث، أذكر فيما يلي أبرز النتائج التي توصلت إليها وهي على النحو التالي:

أن هناك أسبابًا عدة دعت إلى عقد صلح الحديبية منها:

- أنّ النّبي- ﷺ- والمسلمين لم يريدوا القتال في تلك السّنة؛ لعدم إذن الله لهم بذلك، وإنّما أرادوا زيارة بيت الله وأداء مناسك العمرة، وساقوا معهم الهدي لتعلم قريش والعرب تلك الحقيقة.
- إصرار كفّار قريش على عدم دخول المسلمين عليهم في تلك السّنة عنوة من دون إذن، فتذهب هيبتهم عند العرب، وعدم رغبتهم كذلك في لقاء عسكري معهم وقتالهم؛ لتجاربهم السابقة مع المؤمنين وخسائرهم.
- خوف قريش من التحرك العسكري من النبي- ﷺ- وصحبه بعدما سمعت ببيعة الرضوان، إثر شائعة مقتل عثمان بن عفان، ومبايعتهم لنبيهم على الموت والصبر، فبادرت بإرسال رسولها ليصالح المسلمين؛ اعتقادًا منها أنّ الصّلح مع المسلمين سيعود عليهم بالخير والنّفع الكثير، وستتحدث العرب

---

[1] انظر معرفة السنن والآثار (١٤٦/٧) البيهقي. و السيرة النبوية (٢١٩/٤)ابن هشام.

عن قوتهم وسطوتهم، وستقلّ بالمقابل هيبة المسلمين في نفوس النّاس، وقد تحدث فتنة وانقسام في صفوفهم عندما يرجعون للمدينة دون أداء العمرة.

٢- أن صلح الحديبية انبثقت منه دروسٌ تربوية، ودعوية، وسياسية، وتشريعية، وعقدية عظيمة، واقتصر هذا البحث على الدروس العقدية التي منها: وجوب التسليم لله ورسوله- ﷺ-، واستحباب الفأل، ووجوب حسن الظن بالآخرين، وأن رؤيا الأنبياء حق، وأن آية تكثير الماء دليل صدق نبوته- ﷺ-، إلى غير ذلك من الدروس العقدية.

٣-أن صلح الحديبية وضع حدًّا لأعداء الإسلام؛ بحيث لم يعد لهم التجمع بزعامة قريش لمحاربة المسلمين.

٤-لايقضي الله قضاءً إلا فيه خير في الدنيا والأخرة، تجلى ذلك في فوائد وثمار صلح الحديبية، التي كان من أهمها: انتشار الإسلام، وفتح مكة، وتحالف القبائل مع المسلمين، وظهور قوة المسلمين كطرف مساوٍ لقريش.

٥-أن طاعة ولي الأمر والالتفاف حوله، له دور كبير جدًّا في التَّصدي للأعداء، وزرع الهيبة في صدورهم، وفشل مؤامراتهم في اختراق الصف الإسلامي، وهذا تجلى واضحًا في صلح الحديبية، باعتراف الرسل المفاوضين من قبل كفار قريش.

٦- أن صلح الحديبية كان منعطفًا عقديًا كبيرًا في تاريخ الإسلام؛ حيث كان من إنجازاته كسب أكبر معركة دارت بين الإسلام والوثنية، وبه تصدعت قواعد الشرك والوثنية، ورفعت راية التوحيد الخالص في أشرف البقاع، ولذا سماه الله فتحًا مبينًا.

التوصيات:

١- ينبغي على المربين والمعلمين والدُّعاة والمدربين استلهام الدروس من السيرة النبوية، وتربية الناس عليها.

٢- ضرورة ربط النشء بسيرة نبيهم- ﷺ- والتدبر فيها؛ لاستخلاص منهج حياة يسيرون عليه في جميع سلوكهم وتعاملاتهم وعقيدتهم.

٣-على الباحثين والعلماء السعي لوضع موسوعة علمية في الدروس النبوية التربوية، والعقدية، والسياسية، والدعوية، والإعلامية، تعتمد على الاستنباط والتحليل لجميع أحداث السيرة، وربطها بالواقع المعاصر والعلوم الحديثة.

هذه أهم نتائج وتوصيات البحث الذي بذلتُ فيه جهدًا لاستنباط الدروس العقدية من أهم حدث في السيرة النبوية المشرفة، وهو صلح الحديبية وحسبي أني بذلت وسعي، فإن وافق الصواب فهو بفضل الله وتوفيقه، وإن كان خلاف ذلك فهو من نفسي والشيطان وأستغفر الله من ذلك. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادروالمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، دار النشر: مكتبة المعارف- بيروت.

٣- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن وهب المعروف بـ (اليعقوبي)، طباعة ونشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - لبنان، بيروت، تحقيق: عبد الامير المهنا.

٤- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠١.

٥- تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار النشر: دار المحاسن للطباعة - المدينة المنورة - ١٣٨٤ - ١٩٦٤، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني.

٦- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الطبعة: الثالثة، دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

٧- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر: دار الشعب - القاهرة.

٨- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، الطبعة: الثانية. دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت- ١٤١٥- ١٩٩٥.

٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، محمد ناصر الألباني، (د.ط)، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٠- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، الطبعة: دار النشر: دار الفكر - بيروت -، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

١١- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، دار النشر: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤-١٩٩٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

١٢-السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، الطبعة: الأولى، دار النشر: دار الجيل - بيروت - ١٤١١، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

١٣-صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الطبعة: الطبعة الثانية، دار النشر: داراحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢هـ.

١٤-الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، دار النشر: دار صادر- بيروت-.

١٥-عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٦-كتاب الأوائل، أبو عروبة الحسين بن أبي معشر محمد بن مودود الحراني، الطبعة: الأولى، دار النشر: دار ابن حزم - لبنان / بيروت -

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، تحقيق: مشعل بن باني الجبرين المطيري.
١٧-المجموع، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٧م.
١٨-مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة- مصر.
١٩-مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٩٨٥م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني
٢٠-معرفة السنن والآثار عن الامام أبي عبد الله محمد بن أدريس الشافعي، الحافظ الامام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو أحمد. البيهقي. الخسروجردي، الطبعة: بدون دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت -، تحقيق: سيد كسروي حسن.
٢١-المغازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي، الطبعة: الأولى، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا.
٢٢-المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي، الطبعة: الثالثة، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي – بيروت، - ١٤٠٩/ ١٩٨٩.

The doctrinal lessons of the Hudaybiyah Prepared by

Maryam Ali Alhoshani
Associate Professor of Faith and Contemporary Beliefs College of Art - Islamic Studies Department Princess Noura Bint Abdulrahma University

All praise be to Allah, the Lord of the Worlds, and prayers be upon our Prophet Muhammad, his family and companions.
The student of the Prophet's biography and events finds himself in front of a great educational, doctrinal and political school. One these events is Treaty of Hudaibiya which was an important juncture in the Islamic Dawa. In recognition of the importance of that event, So the search has been named(The doctrinal lessons of the Hudaybiyah) according to plan consisting of an introduction, four topics, a conclusion and an indexes. The introduction includes a clarification of the place, time and duration of the treaty which took place on Monday 6Dhul-Qidah of the sixth year of immigration in Hudaibiya, and the duration of treaty was ten years. The first topic talked about the reasons of treaty, some of these were that the Prophet came to Mecca for the Umrah and not to fight, the unbelievers of Quraish insist to prevent the Prophet and his companions to perform the Umrah without a military confrontation because they were afraid of Muslims especially after the pledge of Al-Radwan, the unbelievers thought that the treaty will benefit them. The second topic was about writing the treaty and its provisions which were six items: To return Muslims without the performance of Umrah to the next year – To return everyone from Quraish wants Islam to his tribe – To accept every Muslim comes to Quraish - To stop the war for ten years between Quraish and Muslims. The third topics was about the doctrinal lessons learned of Hudaybiyah, which includes: that the prophet's vision is divine inspiration , good fortune, think the best of people, abundance of water is evidence of prophecy, submission to God and His Messenger, soul-searching, to disbelieve in the influence of the planets, judgment on asking Allah's blessing by the remains of the Prophet, To agree with unbelievers in some cases does not mean aiding them, to obey the guardian, to magnify Allah's sacred rites, Allah's divine decree is all good, not to arbitrate the passions and opinions and love companions of the Prophet.
The fourth topic was a brief reference to the benefits and gains achieved by the treaty of Hudaybiyah, conquest of Mecca, the official recognition of Islam and its state, Muslims feared by unbelievers, the Prophet engaged to the Dawa and fighting the Jews, Muslims took a rest of war. The conclusion of the research contains the results and recommendations, and the indexes of sources and approved references